

التغيرات النسقية مع تعددية الشاشات
مقاربة أنثروبولوجية

Systemic changes with multiple of screens
An anthropological approach

لمياء مرتاض - منصور نفوسي*  ، جامعة عبد الحميد بن باديس ، مستغانم،

lamia.mortad@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/17

تاريخ الإرسال: 2024/09/24

ملخص:

أدت الثورة الرقمية التي عرفتها البشرية منذ أقل من ثلاثين سنة إلى حدوث تحولات عميقة في المجتمعات، مست جميع الأنساق. وفي مسيرتها نحو التطور، عرفت البشرية اختراع الشاشات المتعددة بداية بالتلفزيون فالحاسوب فالهاتف النقّال الذي فاللوح الإلكتروني فالساعة الذكية، مع خلق نماذج جديدة للاستهلاك، وعلاقة جديدة للإنسان مع التقنية ومع المحيط المتواجد فيه. واليوم ومع الاستخدام المكثف للشاشات المتعددة زادت حدة هذه التأثيرات التي أضحت شمولية مؤثرة في كل الأنساق. وقد أدت هذه الاختراعات إلى تغيير جذري للحياة اليومية بشكل مستمر في المجتمعات المختلفة وفي النسيج العلائقي للأفراد ببعضهم البعض. والإشكاليات حول تعددية الشاشات كثيرة، وتخفي بين ثناياها العديد من الرهانات.

في هذا المقال سيتم عرض مقاربة أنثروبولوجية تسلط الضوء على ما حدث من تغيرات في الحياة اليومية إثر الاستخدام المكثف والمستمر للشاشات المتعددة، عبر تحديد إطار مفاهيمي يتم فيه التعرض للمفاهيم الأساسية المعتمدة في هذه الدراسة، ثم تبين التغيرات النسقية التي أسفرت عنها تعددية الشاشات.

الكلمات المفتاحية: تعددية الشاشات، التغيرات النسقية، النسق، التأثير، الاستخدام

* المؤلف المرسل  (<https://orcid.org/0009-0006-5608-1884>)

Abstract:

In the process of its evolution, humanity witnessed the invention of multiple screens, with the creation of new models of consumption, and a new relationship for the human being with technology and with the environment in which he exists.

Today, with the extensive use of multiple screens, these effects have increased in intensity, becoming global and influential in all systems.

These inventions have led to a continuous radical change in daily life in different societies and in the relationships between individuals.

In this article, an anthropological approach will be presented that sheds light on the changes that occurred in daily life as a result of the intense and continuous use of multiple screens, by defining a conceptual framework in which the basic concepts adopted in this study are presented, and then explaining the systemic changes that resulted from the multiplicity of screens.

Keywords: multitude of screen, systemic changes, system, impact, use

مقدمة:

تطور السمعى-البصرى كان مرهونا بتطور التكنولوجيا التى وظفت فيه وملاحظة التأثيرات المباشرة وغير المباشرة فى الأفراد الذين أضحت الشاشات ترافقهم حيثما وجدوا.

وبالتأكيد أننا عندما نتحدث عن الشاشة فإننا فى ذات الوقت نتحدث عن الصورة، عن ماهيتها ووجودها وتطورها، وكل ما رافق ذلك من تغيرات نسقية على المستوى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى، وغيرها من التغيرات...

وقد أسفر عن اختراع الشاشات المتعددة من تلفزيون وحاسوب وهاتف نقال ذكى ولوح إلكترونى وساعة ذكية إلى تغيير جذري للحياة اليومية بشكل مستمر فى المجتمعات المختلفة وفى النسيج العلائقى للأفراد ببعضهم البعض، من تمثيلات للأفراد بالتقنية التى يكتشفونها ويرغبون فى تطويرها لتتعدد وظائفها باستمرار، ومن ممارسات يومية فى حياتهم الخاصة والمهنية والعامة، ومن فضاءات جديدة للمنافسة

الاقتصادية، ومن تغير جذري لأساليب التنشئة الاجتماعية، وغيرها من التغيرات المستمرة التي لا يمكن لأحد توقع مدى انتشارها بين الجماهير المتعددة.

والغاية المتوخاة من هذه الدراسة هي تسليط الضوء على أهم التغيرات التي رافقت إدراج الشاشات المتعددة في حياة البشر نظرا للاستخدامات المتعددة التي تمكنها، مع تبين نسقية هذه التغيرات. ولم يكن ذلك ممكنا إلا عبر مقارنة أنثروبولوجية ترصد تأثير التكنولوجيا –التي تتجلى عبر تعددية الشاشات- في الحياة اليومية، عبر تبين العلاقة الجدلية بين المستخدم (الإنسان) والتقنية (تعددية الشاشات)، والمحيط الذي تتم فيه مجموع التفاعلات التي تنجم عن الاستخدامات اليومية للشاشات المتعددة.

وتأتي هذه الدراسة لتملأ الفراغ العلمي لهذا النوع من الدراسات في البلدان العربية، من خلال الملاحظة الشخصية للانتشار المكثف لظاهرة الاستخدام التعددي للشاشات المختلفة، كموضوع حديث يغزو المنظر العام للحياة اليومية في هذه المجتمعات.

والهدف المتوخى من هذه الدراسة هو الكشف عن التأثيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية والصحية التي أسفرت عنها ظاهرة استخدام تعددية الشاشات لدى المستخدم، والتغيرات التي تحدثها على مستوى الأنساق المختلفة، من خلال الكشف عن الاستخدامات المتعددة للشاشات المتنوعة والتفاعلات المختلفة التي تسفر عنها هذه الظاهرة.

ومن هذا المنطلق، سيتم عرض أبرز التغيرات التي أحدثتها تعددية الشاشات في الأنساق المختلفة، ومدى ارتباطها بالنسق التقني.

الإشكالية:

نعيش اليوم ونحن في عهد الرقمنة عصر صناعة الصورة، عن طريق صور نشاهدها ونعيد مشاهدتها عبر الوسائط الإلكترونية المتعددة التي تتجلى في الشاشات المختلفة التي قام الإنسان باختراعها إلى يومنا هذا.

وعندما نتحدث عن الشاشة فإننا نقرنها بالصورة التي باتت تكتسح المعيش اليومي وتشغل قسما كبيرا من حياة البشر.

وتكمن خاصية الشاشة في العالم الرقمي بأنها مربوطة بالإنترنت ومتحركة يحملها المستخدم معه حيثما كان، خصوصاً مع تطور الركائز وتصغير حجمها مع مراعاة أن تؤدي الوظائف المنتظرة منها.

والجدير بالإشارة إليه أن الثورة التقنية التي شهدتها البشرية قد غيرت من أنماط الممارسات اليومية مؤثرة في الأنساق المختلفة.

وفي الواقع تأثيرات الشاشات المتعددة ليست منفصلة عن بعضها البعض، إذ تحدث هذه التغيرات بشكل مواز على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والنفسي والثقافي والتعليمي والصحي لتكون نسقا من العناصر المتداخلة التي لا استغناء عن أي عنصر منها، بحيث أي تغيير يؤدي لا محالة إلى تغييرات في مستويات أخرى. واليوم ومع الاستخدام المكثف للشاشات المتعددة زادت حدة هذه التأثيرات التي أضحت شمولية مؤثرة في كل الأنساق.

ونتساءل على هذا المستوى: كيف تؤثر تعددية الشاشات في الأنساق المختلفة؟ وهل هذه التأثيرات منفصلة عن بعضها البعض أم أنها مترابطة؟ وإن كانت مترابطة، فلم ترجع الأسباب؟

إطار مفاهيمي:

سيتم في هذا الإطار عرض جملة من المفاهيم المعتمدة في هذه الدراسة، مع تبين الروابط الموجودة بينها.

1.2. النسق:

فكرة النسق (system) ليست بالحديثة؛ فالفلاسفة القدماء كانوا يتحدثون عن النسق، معتبرين "الكون نسقا متكونا من أجزاء". (Le Changement Systémique, 2016)

وكانت هذه الفكرة منتشرة حتى عصر الأنوار، عندما أكد ممثلوه على "أولية الفرد على البيئة الاجتماعية". (Le Changement Systémique, 2016)

وقد ظهرت النسقية في ثلاثينيات القرن الماضي، بتضافر عدة تخصصات، كمقاربة متداخلة التخصصات تجمع العديد من التخصصات العلمية. وقد وضع أسسها كل من ممثلو نظرية الألعاب وعلى رأسهم نيومان (1947)، والسيبرنتيقا مع وينر (1948)، ونظرية الإعلام مع شانون وويفر (1949).

ولكن البداية الحقيقية الأولى كانت بفضل إسهام كارل لودفيك فان برتالني (1901-1972) النمساوي الأصل الذي استقر في الولايات المتحدة الأمريكية في أربعينيات القرن الماضي. كان بيولوجيا في الأساس، معتبرا الكائنات مواضيع منظمة يتعين دراستها كتنظيمات. بيد أنه سرعان ما أدرك بأنه يمكن اكتشاف المبادئ العامة للأنساق المختلفة مهما كانت طبيعتها: فيزيقية أو بيولوجية أو سوسولوجية، من خلال تبني مقاربة نسقية عند تسليط الضوء عليها.

وقد وظف مفهوم النسق قبل التحليل النسقي في المنظور الوظيفي، وتحديدًا في الدراسات الأنثروبولوجية. فعلى هذا المستوى، تعتبر ظاهرة تبادل الهدايا (Potlatch) نسقا من التبادلات بين طرفين اثنين. وبما أن النسق بحاجة مستمرة للبقاء في حالة توازن وثبات- فإنه تنجر عن هذه التبادلات "شبكة من التحالفات التي تضمن استقرارا سياسيا في المجتمعات التي يكون فيها نظام الحكم غير مستقر، حيث يضمن الاستقرار بالتحالف مع مجتمعات تكون فيها مؤسساتها أكثر استقرارا". (Boutefnouchet, 2012).

ومفهوم الوظيفة من المنظور الوظيفي يرتبط كل الارتباط بمبدأ التوازن (equilibrium) الذي يجب أن يليه كل نظام قائم حتى لا يحدث اختلال فيه. (مرتاض-نفوسي ل.، 2020، صفحة 184)

فالوظيفية ترتبط بمبدأ التوازن الذي يليه أي نظام قائم لتحقيقه حتى لا يحدث أي اختلال يخل بوحدة واتساق المجتمع. ولن يتأتى ذلك إلا عبر وظيفة ثبات المعايير كوظيفة أساسية يقوم بها النسق الثقافي الذي يشتمل على منظومة من القيم والمعايير ونماذج للسلوك الخاصة بكل مجتمع، وهنالك إجماع عليها حتى يحافظ على توازن البنى على مستواه، إذ تعتبر عنصرا مهما للوحدة الاجتماعية.

ويتمثل الاختلال الوظيفي في فضاءات للصراع والنزاعات داخل النسق الاجتماعي، مما يسبب اضطرابا في عمل الوحدات الاجتماعية المختلفة.

على هذا الأساس ومن المنظور الأنثروبولوجي، ينظر إلى التغيرات (الاجتماعية والثقافية) كمجرد تعديلات وتكيف الجماعات الاجتماعية مع البنى السائدة، مما أسهم في ظهور ما يسمى بالنسبية الثقافية التي ترى بأن القيم والمعارف لا تأخذ معناها إلا داخل النسق الثقافي الذي أنتجها.

من هذا المنطلق، تعتبر التغيرات في المجتمعات التي تسلط الأنثروبولوجيا الضوء عليها تكيفا للجماعات واندماجا لها مع البنى المهيمنة المتمثلة في الاستعمار، بغية تحكم الأخير في الأولى والسيطرة عليها.

ونظرا لحدود التفكير "الكلاسيكي" الذي لم يعد قادرا على إدراك الطبيعة المركبة للظواهر والعمل عليها ، فقد تم تجاوز الفكر الوظيفي وحتى البنيوي والمقاربة التحليلية وإدراج نماذج تفسيرية أخرى كالفكر النسقي.

ويؤكد Bertalanffy في كتابه: *General System Theory* بأن المقاربة النسقية قد صيغت إثر إدراك مدى تركيبية الأنساق مع التكنولوجيا الحديثة، وحتى إنه يرجع مفهوم النسق تاريخيا إلى بعض المفكرين، مشيرا إلى ابن خلدون (ولدهشتي!) الذي يقول إنه يرى في التاريخ "كمتتالية (sequence) لكيانات ثقافية أو "أنساق" (Bertalanffy, 1969, p. 11).

من هذا المنظور، يعتبر المجتمع نسقا اجتماعيا متكونا من أنساق فرعية متعددة، هي بمثابة عناصر بالنسبة إليه. ولا معنى لعنصر بعيدا عن العناصر الأخرى، ولا يمكن لعنصر أن يستمر في العمل كما كان يعمل من قبل إذا ما حدث اختلال في العناصر الأخرى. فكل عنصر من عناصر النسق في تفاعل مع العناصر الأخرى؛ فهو لا يكون وحدة منعزلة. والنسق بذلك ليس مجرد ربط بين مجموعة عناصر فحسب، بل هو أيضا في علاقة مع العناصر الأخرى ومع الكل؛ هو أكثر من جمع لأجزائه، حيث يرى Bertalanffy بأنه "كل متكون من عناصر في تفاعل". (Bertalanffy, 1969, p. 55).

بيد أنه يعتبر هذا التحديد جد عام؛ فلا يمكن فهم عنصر مكون للنسق بدون معرفة السياق الذي يتفاعل فيه، وحيث لا معنى لأي عنصر مأخوذ على حدة. كما أن التفاعلات على مستوى الأنساق لا تكون خطية، بل هي تتكون عبر حلقات رجع الصدى.

ويعتبر Bertalanffy الأنساق مفتوحة على محيطها الذي يعتبر ديناميكيا، من منطلق أن كل "كائن حي هو نسق مفتوح" (Bertalanffy, 1969, p. 18)، محافظ على ديمومته عبر سلسلة من التبادلات مع محيطه، تأخذ شكل مدخلات (inputs)، والمتمثلة في مجموع الضغوط والتأثيرات التي يتعرض إليها النسق، ومخرجات (outputs)، المتمثلة في مجموع القرارات والنتائج المتمخضة عن المدخلات. وعبر هذه القدرة على القيام بمجموعة من التبادلات مع المحيط، تكون للنسق القدرة على القيام بضبط ذاتي (self-regulating).

ولكن، "إذا لم تكن توجد أي قوة إقصاء ونفور وتفكك، كل شيء سيتجمع في الالتباس، وبالتالي لا يمكن تصور أي نسق. فلكي يكون هنالك نسق يتعين المحافظة على الفرق، بمعنى المحافظة على القوى التي تبقى على الأقل على ما هو أساسي في أصالة العناصر أو الأشياء أو التداخلات، إذن المحافظة الموازنة

أو المحايدة أو الافتراضية لقوى الإقصاء والتفكك والنفور". (Morin E. , Pour une crisologie, 1976, pp. 149-163)

فالأنساق ليست ثابتة كما تبدو عليه؛ فهي في حالة تغير مستمر، بفعل تأثيرها بالبيئة المحيطة بها، متبادلة معها الطاقة. لذلك، فحتى وإن كان هنالك استقرار فهو نسبي، مرهون بطبيعة وكمية المعلومات التي يتبادلها النسق مع محيطه، من خلال جملة من المدخلات والمخرجات.

وفي الواقع، يرتبط مفهوم النسق بمفهوم لصيق به ألا وهو التركيب (complexity). فالأنساق مهما كان حجمها ودرجة تنظيمها هي وحدات حية، تمر بمراحل متعاقبة ومتداخلة ومتجانسة، بحيث كل مرحلة ضرورية للمراحل التي تليها، ضمن منطق بناء فتهديم وإعادة بناء، من خلال مبدأ التركيب الذي لا يعني بأن الأمر ليس بسيطاً؛ هو حوار قائم بين "النظام/الفوضى/التنظيم". (Morin E. , 1990, p. 137) فالعالم من حولنا يبدو منظماً ومستقراً. بيد أنه وراء هذا التنظيم كانت هناك فوضى، والتي سبقها النظام.

والتركيب سمة العصر الحديث. وهو لا يعني التعقيد؛ هو أكثر من ذلك، إذ لا يعكس طبيعة العلاقات بين العناصر والتفاعلات الممكنة بينها فحسب، بل يقتضي أيضاً الأخذ بالحسبان "بعض التنظيم والفوضى، التكامل والتنافر، بدلا من تفكيك (هذه الثنائيات) ومعارضتها". (Morin E. , Pour une crisologie, 1976, pp. 149-163)

وعلى هذا الأساس، الفكر النسقي هو طريقة لإدراك مدى تركيبية الأنساق التي لم يعد يعمل كل واحد منها على حدة.

2.2. التغير النسقي:

يحولنا هذا الواقع إلى مفهوم آخر في بالغ الأهمية ألا وهو التغير النسقي (systemic change). يعني الأخير "ذلك المسار الذي يشجع على التغير البنوي لنسق بكامله، بالتركيز على العلاقة والتفاعل بين الأجزاء المختلفة". (Le Changement Systémique, 2016)

فالنسق بحاجة إلى أن يكون مستقراً. ولكن ذلك الاستقرار هو نسبي وهو الجزء البارز من عمله.

فقد أضى العالم مركبا والعلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات هي أيضا من طبيعة مركبة. والمجتمع من هذا المنظور –تبعاً لتحليلات Edgar Morin- هو نسق مركب له القدرة على ضبط

ذاته بذاته، ويقوم المحيط في ذات الوقت بضبطه، مما يؤدي إلى المحافظة على حالة الاستقرار التي يسعى إليها بشكل مستمر.

ولكن من طبيعة النسق التحول والتغير وحتى التقلص أو التوسع، عبر جملة من التغيرات التي تمس عناصره أو البعض منها. وهكذا تكون العلاقات التي تربط بين الأفراد والجماعات والمجتمعات والأجناس متكاملة ومتنافرة في الوقت نفسه؛ فهي لا تكون إما متكاملة أو تنافسية أو متصارعة؛ هي من طبيعة مركبة ويمكن أن تتميز بهذه الطبيعة في ذات الوقت. (مرتاض-نفوسي ل.، 2022، صفحة 89)

وبالتالي، التنافر "لا يؤدي إلى تفكك النسق فحسب، بل يسهم أيضا في استقراره وانتظامه".
(Morin E. , 1976, pp. 149-163)

وقد تبدو مفارقة إذا ما قبلنا فكرة أنه يوجد استقرار في حالة اللااستقرار للنسق التي ترتب عن تدفقات المدخلات والمخرجات التي يقوم بها النسق مع محيطه، ليمده بالطاقة والمعلومات التي هو بحاجة إليها؛ فالاستقرار نسبي بما أن النسق في تفاعل مستمر مع محيطه. (مرتاض-نفوسي ل.، 2022، صفحة 163)

فالنسق لا يحافظ على ديمومته إلا عبر القيام بجملة من التبادلات مع محيطه.

وبناء على ذلك، يشمل التغير النسقي التحولات التي تحدث في البنى على اختلافها، والتفاعل الموجود بينها، حيث أي تغير على مستوى نسق معين إلا ويؤدي إلى تغيرات في الأنساق الأخرى.

وعليه، يقتضي الأمر إدراك مكونات النسق ومجموع العلاقات التي تحدث بينه وبين الأنساق الأخرى، وأيضا التفاعلات الممكنة بينها.

وبالتالي، كيف يمكن تصور حالة استقرار في محيط يعمه الارتياح وهو أكثر فأكثر اضطرابا، نظرا لكونه يمر بتغيرات تتمثل في التقدم التكنولوجي والأزمات المالية والعقارية والنزاعات والحروب المحلية والإقليمية والدولية؟ وقد كانت هذه القضية جلية مع أزمة كوفيد 19 التي جاءت لتزجج الأنساق القائمة. (مرتاض-نفوسي ل.، 2022، صفحة 48)

وعليه، فإنه ينبغي أن نتخلى عن ذلك التصور التجزيئي للظواهر المحيطة بنا عبر تبني تمثيل كلي لها، عبر تحديد منظومة العلاقات الممكنة بين عناصر النسق أو بين الأنساق الفرعية والتفاعلات التي

تقييمها بينها، آخذين بالحسبان ليس طبيعة العناصر في حد ذاتها فحسب، ولكن أيضا طبيعة تلك التداخلات والروابط الممكنة.

3.2. تعددية الشاشات:

لقد تطور مصطلح الشاشة (screen) وتنوعت دلالاته، وتاريخ تطوره صعب التحديد. "ومنذ ما يقرب من خمسة قرون، كانت تشير الشاشة إلى أشياء مختلفة تحيل إما لحاجز أو حماية من النار أو الضوء أو الرياح. ومع القرن التاسع عشر بدأ مصطلح الشاشة في الظهور في لغة الفيزيائي والمخادع، وفي النهاية لدى السينمائي، ليأخذ معنى السطح العاكس الأبيض أو غير الشفاف الذي يعكس صورا أو يتم عرضها أو ترفق.

ومن الشاشة كشيء يستخدم للحماية أو التعتيم أو الإخفاء إلى الشاشة كجهاز معماري ونحتي يستخدم لفصل أو تقسيم الفضاء في عملية الاستبعاد أو ترسيم الحدود، إلى الشاشة كسطح أو وعاء علميا صور يتم عرضها أو عرضها على الشاشة كمصطلح مجازي، أو موقع وساطة ينطوي على علاقة بين ما يظهر وما يبقى تحت الغطاء. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، قدمت كلمة "شاشة" مجموعة واسعة من المعاني والاستخدامات التي انتشرت في القرن العشرين." (Château & Moure, 2016)

وعليه، تعرف الشاشة اليوم على أنها "سطح له القدرة على انبعاث الضوء وتشكيل الصور." (Enríquez, 2016, p. 5)

أما عن مفهوم تعددية الشاشات (multitude of screen) فهو يدل على قيام المستخدم بالاستخدام الموازي لعدة شاشات إما في ذات الوقت أو في أوقات متفرقة. هي الشاشات المتعددة التي نعرفها إلى غاية اليوم والمتمثلة في التلفزيون والهاتف النقال الذكي واللوح الإلكتروني والحاسوب والساعة الذكية.

وتكمن خاصية تعددية الشاشات في الاستخدام المفرط للركائز التي بحوزة المستخدم وتعدد وظائفها؛ فهو يستخدم ويستخدم الشاشات المتنوعة باستمرار و/أو بالتوازي.

فتكافة الشاشات تفضل التعدد، بوجود شاشات متعددة وهويات متعددة للمستخدم الواحد، بفعل التواجد أو الانضمام إلى فضاءات رقمية متعددة.

التأثيرات الناجمة عن استخدام تعددية الشاشات:

تعتبر تعددية الشاشات ممارسة حديثة لم يعهدها المتلقي من قبل؛ فقد أدى كل اختراع لوسيلة من وسائل الإعلام والاتصال القديمة إلى تناسي وحتى تجاوز الوسيلة التي سبقت اختراعها.

ولكننا اليوم في عهد "الاختيارات المفرطة" التي جعلت التلقي عملية مركبة لا يمكن التحكم بمسارها، مما أسفر عن ظهور ظواهر جديدة ومتعددة مرتبطة بالتطور غير المسبوق للتكنولوجيا. ومن بين هذه الظواهر أشير إلى ظاهرة تعددية الشاشات التي كانت لها تأثيرات في مستويات متعددة.

التأثير الاقتصادي:

التأثيرات الاقتصادية لتعددية الشاشات متعددة. فقد أدى الاستخدام المكثف للإنترنت المرتبط بالشاشات المتعددة إلى التفكير في ربطه بالركائز الإلكترونية المتعددة، مما فتح سوقا جديدة تركز على الاقتصاد الرقمي، مما أفضى في آخر المطاف إلى تنشيط التجارة الإلكترونية.

فضلا عن ذلك، لا يمكن أن نتغافل عن كون إنتاج وتوزيع الشاشات المتعددة ينتهي إلى مجال فرعي للاقتصاد ألا وهو الاقتصاد العالمي للترفيه، باعتبار الأخير يتجلى عبر أشكال جديدة للتسلية، الأمر الذي أسفر عن خلق نماذج اقتصادية جديدة تركز على سوق الشاشات المتعددة التي تعتمد على الاقتصاد الرقمي، مما أسفر عن ازدهار هذا النموذج الاقتصادي الذي يشجع على إنتاج الشاشات المتعددة وعلى توزيعها في العالم بأسره. وقد ترتب عن هذا الوضع بدوره وجود منافسة شرسة بين كبريات الشركات التي تطمح في الهيمنة على هذه السوق من خلال اختراع شاشات أكثر فأكثر حداثة.

ولكن، يتعين أن نعلم بأن الترفيه لم يعد ترفا خاصا بفئة اجتماعية معينة، بل هو اليوم ضرورة تخص كل الفئات الاجتماعية. وقد بدأ الحديث عن "حضارة الترفيه" في العديد من الكتابات خصوصا في سبعينيات القرن الماضي، وأخص بالذكر كتاب Joffre Dumazedier الذي كان عنوانه: *Vers une civilisation du loisir*.

وقد شكك Dumazedier في حقيقة أوقات الفراغ وفي طبيعة الترفيه الذي تدعي الحضارة الحديثة إمداده للأفراد، إذ هنالك مشاكل جمة ترتبط بطبيعته.

وبالرغم من أن الاقتصاد الرقمي يعيش اليوم انتعاشا فإنه لا يدوم إلى الأبد؛ فالعديد من المؤسسات المعنية بهذا الأمر تعيش أيضا حالة من الارتياح المستمر، بسبب الأزمات المتعددة التي أضحت اليوم عالمية، متجاوزة الحدود الجغرافية للبلدان. فأى مؤسسة تكون اليوم في الصادرة، غدا ولعوامل لم

تتمكن من التحكم في مسارها تجعلها تختفي وإلى الأبد. فقد يكون اليوم المنافس على هذا المستوى قويا، ولكن إن واجه منافسا أقوى فإنه سيتشارك معه حتى لا ينقرض، داخل فضاءات تنافسية شرسة.

وبالرغم من حالة الاتياب التي تعيشها المؤسسات مهما كانت طبيعة نشاطها، فإنه لا يخفى على أحد من أنها قادرة على خلق فرص عمل جديدة تمكن من امتصاص البطالة، خصوصا لدى الشباب المتحصل على شهادات جامعية وعلى تكوين تخصصي.

التأثير الاجتماعي:

وللاستخدام التعددي للشاشات تأثير أيضا في النسق الاجتماعي. فهو يمكن من الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية ومن خلق شبكة علاقات اجتماعية جديدة في ذات الوقت. ولكن، لم يعد هنالك مكان مع هذا الواقع الجديد لقيمة "التفاعل غير المركز" الذي تحدث عنه Goffman، والذي يحدث عادة عندما يجتمع الفرد بالآخرين في الحفلات والمآتم وفي الشوارع وفي وسائل النقل المختلفة. وأكثر من ذلك، فالجماعات الاجتماعية التي تنشأ وتتطور في عالم الواب، لا حدود ولا مكان لها؛ فهي جماعات مجردة (abstract groups) مقابل التحديد الأنثروبولوجي للجماعات الملموسة (concrete groups)، بحيث -عكس ما يسميها بعضهم بالجماعات "الافتراضية"- هي في الواقع جماعات "تبرز وتجد قوتها في الفضاء الشمولي للاتصال، حيث تحاول بالمعنى الحرفي أن تكون موجودة. (Selim, 2012, pp. 106-113)

فالتفاعل عبر الشاشات المتعددة ينجر عنه التقارب بين أولئك المتفاعلين عبرها، كفضاءات جديدة للتفاعل ولنسج شبكة علائقية في فضاء مواز للواقع الملموس.

فنحن في عصر لم يعد التواصل وجهًا لوجه الطريقة الوحيدة للاتصال بالآخرين حيثما وجدوا. فقد لوحظ توسع وتكثف فضاء العلاقات الاجتماعية، وتغير طبيعتها وأشكالها بعد الانتشار الموسع للإنترنت واكتساحه الحياة اليومية، مما ترتب عن ذلك من تغير في العلاقة التي يقيمها الأفراد مع بعضهم البعض.

وقد نتج عن تطبيقات الإنترنت، تشكل عوالم تخص مستخدمي المواقع الاجتماعية، التي تستخدم فيها "عناصر رمزية وثقافية تنتج عن استخداماتها، بتشكيل وإعادة منح معنى لهذه العوالم". (Heredia, 2011, p. 26)

وعلى صعيد آخر، فقد لوحظت بعد الاكتساح المكثف للتكنولوجيا الجديدة التي تتجلى عبر الشاشات المتعددة داخل الفضاء الأسري تأثيرات في طبيعة وكثافة العلاقات الأسرية، بخلق فضاءات

للمناورة والنزاعات وفرض السيطرة من طرف بعض الأعضاء على آخرين. وبالموازاة، أدت الاستخدامات المكثفة للشاشات المتعددة إلى خلق علاقات اجتماعية جديدة في الفضاءات السيبرانية مكثفة خارج الفضاء الأسري.

فهذه الممارسة تؤدي إلى تأثيرات وسائطية (mediated interactions) التي تزيد من تجزئة الأسرة وخلق تصرفات فردانية وتشكيل علاقات اجتماعية جديدة تتكيف خارجها، ومؤثرة بالموازاة في الرابط الاجتماعي داخل الأسرة وداخل الجماعات الاجتماعية بشكل عام. كل هذه المؤشرات هي بمثابة اضطرابات تؤثر في حياة الأفراد وخصوصا الشباب وعلاقتهم بذويهم بفعل أنهم يقضون جل أوقاتهم في استخدام الشاشات المتعددة.

التأثير النفسي:

أما على المستوى النفسي فتأثيرات استخدام الشاشات متعددة بدورها. ولكن سيتم عرض بعضها في هذه الدراسة. بداية، فقد كان لاكتساب ثقافة تقنية تأثير سلبي، لأنه أدى بالذي لا يقدر على ذلك إلى الإحساس بالاغتراب بشكل مزدوج، لأنه من جهة "لا يتحكم في المحيط الخاص به. ومن جهة أخرى، عدم التحكم فيها (أي في التقنية) يجعله مرتبطا اجتماعيا بالمنظمات وبالذين لديهم المؤهلات التي تنقصه." (Proulx, 2022)

فنقص الثقافة التقنية يجعل المستخدم الذي يجهل كيفية عملها يحس بالإحباط والاغتراب.... لذلك، يلاحظ تهاافت الشباب لاكتساب آخر ما جادت به التكنولوجيا من اختراعات، وخصوصا السعي للتمكن السريع في التحكم فيها، عبر ما تتيحه من استخدامات ووظائف لا تعد ولا تحصى.

ودائما على مستوى التأثيرات النفسية، فقد لوحظ في السنوات الأخيرة ميل الشباب إلى العزلة الاجتماعية واليوم حتى مع الأطفال، بالرغبة بتواجدهم بمفردهم وتفكك الرابط الاجتماعي، وحتى تفاقم العدوانية. وقد بدأنا نسمع اليوم عن إدمان من نوع خاص؛ لا يتعلق الأمر بالإدمان على المخدرات ولا الكحول، بل إدمان المتلقي على البقاء مربوطا بالخط حيثما وجد، عبر الشاشات المتعددة التي يملكها...

فهناك إدمان في الاطلاع في ذات الوقت على التلفزيون والحاسوب والهاتف النقال الذي والوح الإلكتروني والساعة الذكية، بالمرور من شاشة إلى أخرى ومن محتوى إلى آخر، مع التفاعل المباشر حول ما شوهد في اللحظة عينها.

فالطفل الصغير أمام شاشات متعددة سيتعود على استخدامها، لأوقات وفترات أطول على نحو متزايد. وأمام هذه الشاشات سينهر بجملها وبالألوان والصور التي تسيرها والأصوات التي يسمعها، فيتحول إلى "فرد سلمي، كضحية اضطراب سلوكي: دائم التعرض إلى الشاشة وتنتابه موجة من الغضب عندما يبعد عنها". (L'enfant, l'adolescent, la famille et les écrans, Appel à une vigilance raisonnée sur les technologies numériques, 2024)

وهذا الواقع يؤثر في التنمية النفسية للطفل وكيفية تصرفه إزاء الآخرين، وحتى في قدراته التعليمية. ولكن هذا الإدمان تبعاً لبعض المحللين موجود إثر التعرض لكثافة استخدام الشاشات، بوجود بعض الخصائص لدى بعض المستخدمين، المتمثلة أساساً في "تضافر عوامل مرتبطة بضعف شخصي واجتماعي وبالطابع الإدماني لبعض الألعاب التي تلعب على الخط". (L'enfant, l'adolescent, la famille et les écrans, Appel à une vigilance raisonnée sur les technologies numériques, 2024)

بيد أنه إلى جانب التأثيرات السلبية لتعددية الشاشات هنالك جوانب إيجابية، تتمثل في التحفيز على خلق مواهب واكتشافها.

كما أن الهويات عبر الشاشات المختلفة تتفرع وتتعدد، ولم يعد "الأنا ملكاً خاصاً للفرد، كخيال يعتمد على التفاعلات بين مجموعة من الناس. (ومن هذا المنظور) هنالك إمكانية وجود عدة هويات" (Voisin, 2016)، حيث يتم "تقمص" كل هوية تبعاً للسياق الذي ستستخدم لأجله، مع كل التعددية والتناقضات التي يمكن أن تتواجد في ذات الوقت.

وفي هذا الصدد، أفصح Serge Tisseron (Les écrans, des bonbons pour notre esprit, 2024) في مقابلة معه بأن ما يخشاه ليس تواجد الأطفال مع التكنولوجيا الرقمية في حد ذاتها، بل في تعاملهم أكثر فأكثر معها في سن صغيرة وفي شدة التعرض إليها. كما بين بأن الكبار والصغار في بيئة رقمية "ملوثة"، بمعنى أننا أمام شاشات لا نتحكم فيها مليئة بالمثيرات التي لا نختارها دائماً. علاوة على ذلك، فقد أكد بأن المشكل لا يكمن في وجود أكثر فأكثر للأدوات الرقمية، وإنما في وجود مستمر لشاشات في أماكن أكثر عدداً، التي أضحت تبعدنا عن أنفسنا.

ومما يزد الطينة بلة هو عدم وجود رقابة صارمة من طرف الأولياء لصغار السن والمراهقين الذين يتعرضون إلى الشاشات المتعددة بكل أشكالها ومحتوياتها؛ فهم ليسوا بمنأى عن التحرش الجنسي والتنمر الإلكتروني (cyberbullying)، خصوصاً مع سهولة الولوج إلى عالم مواقع التواصل الاجتماعي، التي تعتبر

ملاذا للكثير من المراهقين والشباب ضد الوحدة التي يحسون بها، متغافلين عن نقاطها السلبية أو جاهلين إياها.

التأثير الثقافي:

كما تتمخض عن الاستخدام المتعدد للشاشات تأثيرات ثقافية، من حيث العلاقة الجسدية التي يقيمها المستخدم مع تعددية التقنية، "كامتداد لجسده" تبعا لتصور موس الذي يرى بأن الأدوات المستخدمة تندمج مع مستخدميها فتبدو وكأنها طبيعية، لتتحول إلى منظر عام يخص الحياة اليومية. فيتم الربط بين المستخدم والتقنية عن طريق الجسد، حيث مع الأغراض التي تختبر كل يوم الكيفيات التي يتخذها المستخدم لم تعد نفسها: طريقة الجلوس واستخدام الأيدي والأصابع، والنبرة التي يتخذها المتكلم وهو يتحدث عبر هاتفه مثلا والتي تختلف تبعا لكل مستخدم وخصوصا تبعا لمن يكون على الطرف الثاني....

أضف إلى ذلك أن الشاشات المتعددة تخلق لدى المستخدم ثقافة تقنية عبر التطبيقات التي تسمح بها التكنولوجيا المستخدمة والتي تجعله يتبنى ثقافة تقنية.

فيخلق ذلك لديه ثقافة تقنية عبر التطبيقات التي تسمح بها التكنولوجيا المستخدمة والتي تجعله يتبنى ثقافة تقنية، وفي ذات الوقت يهمل كل من ليس لديه هذه الثقافة التقنية واللغة الخاصة المستخدمة فيها.

في هذا السياق، لوحظ في السنوات الأخيرة انخفاض محسوس للرصيد اللغوي لدى العديدين وتحديدا في الوطن العربي، إذ يتعودون على التواصل في مواقع التواصل الاجتماعي عبر الشاشات المتعددة بلغة هي مزيج بين العامية والعربية واللاتينية. وحتى وإن تراسلوا باللغة العربية فهي فاقدة لأدنى القواعد المعتمدة فيها، بعيدا عن تشكيل جملة صحيحة.

فالاستخدام المستمر للشاشات المتعددة يسفر عن تعلم لغة خاصة من مفردات وميمات وطرق استخدام واتخاذ وضعيات خاصة مع كل استخدام، بالتعرف على العلامات ومعرفة كيفية توظيفها وعملها، من خلال ما تنتجه كل شاشة.

وبالتالي، أدت تعددية الشاشات إلى خلق نماذج ثقافية جديدة للفعل وللوجود متجددة بشكل مستمر. فنحن نعيش اليوم تغيرا في الثقافة، عبر مرور البشرية من الشفوي إلى المكتوب، واليوم إلى

"الوسائط المتعددة" (Les écrans, des bonbons pour notre esprit, 2024) ، إذ لم يعد المشكل تبعا لـ Serge Tisseron في الشاشات بحد ذاتها، بل في كيفية استخدامها.

كما أن ثقافة الشاشات تشجع على "التفكير غير الخطي" (Voisin, 2016)، عبر الاختيارات المتنوعة التي تسمح بها والقراءات المتعددة وحتى المتعارضة التي تقدمها عن مسألة معينة.

فنحن اليوم أمام "ثقافة التعدد وحتى التعددية الثقافية. كما أن كل مهمة من مهامها تكون مؤقتة" (Voisin, 2016) ، مما يقتضي إسهام كل واحد مهما كانت بساطة إسهامه (بتعليق أو لايك مثلا). فالثقافة لم تعد حكرا على جماعة أو تنظيم معين.

التأثير الصحي:

وبالتأكيد أن تأثيرات الاستخدام المتعدد للشاشات في المستوى الصحي ملموسة، ولا يمكن لأحد إنكارها. بداية، يؤثر التعرض الطويل إلى الشاشات المتعددة في العين، عبر الأشعة الزرقاء التي تتطلب المزيد من الانتباه، مما يقف أمام إفراز هرمون الميلاتونين المخصص للنوم، علما بأن الأشعة الزرقاء تستخدم أيضا في الإضاءة الليلية للفضاءات العامة وحتى داخل بعض البيوت، نظرا لأنها غير مكلفة. فهذه الأشعة تؤدي إلى اضطرابات في النوم، خصوصا وأن الكثيرين (خصوصا الشباب والمراهقين وفي أيامنا حتى الأطفال) يخلطون في زماننا أوقات النوم: فالليل أضحي للسهرة والنهار للنوم، في غياب تام لمراقبة الأولياء!

ثم يكون التأثير أيضا في السمع خصوصا لدى أولئك الذين يضعون بشكل منتظم السماعات. فترى أطفالنا لا يستجيبون لنا عندما نناديهم للقيام بأعمال معينة، منبهرين بما يعرض عليهم، في عالم تسوده العزلة والفردانية، وحتى عندما نناديهم لتناول وجباتهم التي أضحت ثانوية أمام قوة وجبروت الشاشات المتعددة. ثم إن الإقبال على الفيديوهات القصيرة (reel) ينقص من درجة التركيز لدى المستخدم، إذ يكون التركيز في نقاط محددة، على الصور التي هي في حركية مستمرة. وقد بينت العديد من الدراسات أن العديدين لم يعودوا قادرين على متابعة فيديوهات طويلة.

وقد انعكس الأمر حتى على الدراسة حيث لم يعد التلاميذ والطلبة قادرين على التركيز مع المدرس لساعات طويلة، خصوصا وأن التعرض إلى الشاشات المتعددة يدوم ساعات وساعات، بدون حدود ولا حواجز ولا ممنوعات، مما يجعل الشاب أو المراهق وحتى المستخدم الصغير مدمنا عليها، حيث ما يحدث خارج هذه الشاشات لا معنى ولا قيمة له.

فضلا عن ذلك، فقد لوحظ ارتفاع الأخطار المرتبطة بالسمنة نتيجة التعرض المستمر إلى الشاشات، مما يكبح الحركة لساعات وساعات طوال، ويقلل ساعات النوم بكثير. وخطر السمنة ليس مرتبطا بالتعرض الطويل إلى الشاشات المتعددة فحسب، بل أيضا بإدراج ومضات إشهارية عبر ما نشاهده تشجع أكثر فأكثر على تناول مواد دسمة وعلى السكريات، ناهيك عن الأمراض القلبية-الشريانية المرتبطة بها.

ولكن، هنالك مسألة أسالت ولا تزال تسيل الكثير من الحير ألا وهي الإدمان على استخدام الشاشات (وسبق وأن أشرت إلى ذلك في التأثير النفسي لتعددية الشاشات). فهل يمكن فعلا التحدث عن إدمان أولئك الذين يكثرون التعرض إلى الشاشات وخصوصا الشاشات المتعددة؟

لا يوافق على ذلك Michel Voisin، باستناده إلى تقرير INSERM لعام 2008 الذي ينفي بأن اللعب الذي يستخدم الشاشات كوسيط يجعل الفرد مدمنا، مشيرا إلى أن أكاديمية الطب اقترحت عام 2012 التحدث عن "ممارسات مفرطة" بدلا من الإدمان، بدون التحديد الواضح لهذه العبارة. (Voisin, 2016)

بيد أن ذلك التردد في تصنيف المفرطين في استخدام الشاشات ضمن المدمنين إنما يخفي واقعا مضمرا. وهذا ما يفسره Marc Valleur المختص في علاج الإدمان عندما يؤكد على مسألة في غاية الخطورة، والمتمثلة في أن التصنيف الذي وضعته DSM – التي هي جمعية أمريكية مختصة في تشخيص الأمراض العقلية- إنما يخضع لجماعات ضاغطة. وفي الواقع هي جمعية أمريكية تقوم بوصف الدواء للمرضى وبمنح عطل مرضية. (L'enfant, l'adolescent, la famille et les écrans, Appel à une vigilance raisonnée sur les technologies numériques, 2024)

وفي المقابل، يقر الكثيرون بتصنيف الإفراط في استخدام الشاشات كإدمان. فقد بينت دراسة أمريكية بأن "الحصول على اللايكات (الإعجاب) عبر الفيسبوك يحرر الدوبامين (dopamine) التي هي هرمون في قلب حلقة المكافأة ومسار الإدمان (...). ومنتجو الركائز والمحتويات يوظفون المعارف العلمية حول كيفية عمل العقل بغية شد انتباه المستخدمين إلى أقصى درجة." (L'Essentiel sur... les usages, problématiques d'écrans., 2024) فالذي يسعى من ورائه المستخدم عبر الاستخدام المتعدد للشاشات إنما هو البحث عن تحقيق اللذة والسعادة.

4. التغيرات النفسية الناتجة عن استخدام تعددية الشاشات:

بعد استعراض أهم التأثيرات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والنفسي والثقافي والصحي الناجمة عن استخدام الشاشات المتعددة، يتعين أن ندرك بأنها ليست منفصلة، بل هي مرتبطة ببعضها البعض، في تفاعل نسقي مشحون بالروابط المتنوعة والعلاقات والتفاعلات غير الخطية اللامتناهية.

فيفعل هذه التأثيرات، فإن المتلقي لا يمكن ألا يتأثر بها ويتفاعل معها، خصوصا وأن استخدام تعددية الشاشات أضحت جزءا لا يتجزأ من حياته اليومية.

فلوجود اقتصاد عالمي مصدره التجارة اللامحدودة للشاشات تأثيرات إيجابية جمّة. بيد أنه على المستوى الإدراكي وسوق العمل وشبكة العلاقات الاجتماعية وعلى المستوى الثقافي سيمش كل من هو غير متمكن من امتلاك ثقافة التكنولوجيا الجديدة التي ركيزتها الشاشات المتعددة، كثقافة جديدة ومتجددة.

كما أنه لتواجد تعددية الشاشات في الحياة اليومية تأثيرات في المستوى النفسي، عبر الرغبة المستمرة في تواجد المستخدمين لوحدهم وعدم احتكاكهم بالآخرين. والأطفال الذين يتواجدون أمام الشاشات المتعددة يحرمون من القيام بنشاطات كانت تقام في سنهم في وقت ليس بالبعيد، كالرياضة والمشي وقراءة الكتب والقصص التي من شأنها تنمية قدراتهم العقلية والإدراكية، وفي تشكيل شبكة العلاقات الأسرية والاجتماعية المموسة.

كما أن ذلك يؤثر بدوره في المستوى الصحي من خلال الأمراض التي أضحت تلون المظهر العام للحياة اليومية من سمنة ومشاكل في السمع وفي النظر، وإحساس جل الشباب المستمر في الرغبة في النوم مما يؤثر في قدراتهم الإدراكية.

وتعتبر الشاشات المتعددة فضاء تواصلها مفتوحا تتشكل عن طريقه شبكة العلاقات الاجتماعية، عبر إنشائها لجماعات مجردة، تسجل العديد من المواقف على الساحة الاجتماعية والثقافية والسياسية. ولعل من أبرز خصائصها التفاعلية التي تتمخض عن التشاركية التي تجمع بين الأعضاء المنتمين إليها.

وبالفعل، الاتصال في العالم الرقمي يخلق فضاء تفاعليا. ويعتبر المختصون في أنثروبولوجيا الاتصال أن الاتصال هو قبل أي شيء "تجربة أنثروبولوجية"، بحيث يتمثل الاتصال في "التبادل مع الآخرين (...كما يعني) مجموع التقنيات التي تجاوزت الظروف الأرضية للاتصال المباشر ليحل محله

الاتصال عن بعد (...كما) تحول إلى حاجة اجتماعية وظيفية للاقتصاد المترابط. " (Wolton, 1997, pp. 14-15)

بفعل كون الاتصال تجربة أنثروبولوجية، يعني أنه من خلاله يتبادل الأفراد والجماعات الرسائل بينهم، عبر نموذج ثقافي؛ فلا يمكن تصور مجتمع بدون اتصال، حيث يعيش كل فرد فيه بمعزل عن الآخرين.

من هذا المنظور، لا يتم التواصل بين الأفراد والجماعات إلا عبر منظومة من القيم المتبناة المتبادلة التي تحدد نماذج للتصرف والتفاعل مع "الأخر". فالاتصال هو طريقة يتفق أفرادها على قواعد للتواصل بينهم، وفقا لنموذج ثقافي معين.

ثم، إن الاتصال غدا ضرورة اجتماعية وظيفية بالنسبة إلى الاقتصاد المترابط الذي يستند إلى مبدأ الانفتاح، من حيث التقنيات المستخدمة فيه التي تشجع على التواصل والتفاعل مع أفراد مختلفين وبعيدين عن بعضهم البعض.

وبالتالي، ينظر إلى الاتصال تحديدا عبر الشاشات المتعددة كتفاعل بين مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم علاقات اجتماعية، باعتبار الأخيرة تتشكل لدى مستخدمي المواقع الاجتماعية عبر "الشبكات الاجتماعية، من خلال المنصات الافتراضية." (Molina, 2010)

ونحن اليوم في الألفية الثالثة، في عهد مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام التفاعلي والفضاءات الافتراضية، الذي تعددت وتشعبت وتباينت طرق التواصل فيه من أشكال ومحتويات متعددة؛ فمن الاتصال وجها لوجه، أضحى الأفراد يتواصلون وبشكل مكثف عن بعد الذي تتوسطه التقنيات المختلفة، التي تعتمد على الركائز الإلكترونية المتعددة من هاتف محمول ولوح إلكتروني وجهاز حاسوب وساعة ذكية، والمهم هو أن تكون مربوطة بالإنترنت...

وما يجمع بين كل أشكال التواصل هذه أنها تشترك في كونها تشكل نماذج ثقافية سائدة، وحتى مهيمنة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية برمتها.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى، أثر الاقتصاد العالمي للترفيه في تغيير احتياجات الأسر التي باتت تسهر على توفير الرفاهية لأبنائها من خلال اقتناء ما يوجد به السوق الرقمي من شاشات وركائز متعددة، مما كان له كل الأثر في تغيير الممارسات الاستهلاكية لدى الأفراد وفي إنعاش هذا الاقتصاد...

علاوة على ذلك، لا يمكن لأحد أن يتغافل عن الدور الذي باتت تلعبه الشاشات المتعددة في الحياة اليومية، عبر الوظائف المتعددة التي تؤديها: على المستوى المهني حيث باتت تسرع التواصل بين الموظفين والمتعاملين معهم؛ على المستوى الثقافي عبر وظيفة التعليم والإعلام والترفيه التي تؤديها؛ وعلى المستوى الاجتماعي عبر وظيفة الاتصال التي تقوم بها. وبالتالي، التأثيرات تكون في المستوى الفردي والجماعي وحتى المحلي والدولي.

ومما زاد من نطاق هذه الظاهرة هو تطور وتوسع مجال واستخدامات أشكال الترفيه مع تطور المجتمعات الغربية، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية وخصوصاً عند انخفاض ساعات العمل وزيادة أوقات الفراغ وبداية عصر جديد للطبقة المتوسطة، حيث تحسن معيشها اليومي وبدأت تبحث عن الترفيه. وفي هذا السياق الجديد ومع تطور مجال السمي-البصري، ظهرت ثم تطورت أشكال جديدة للتسلية.

والأدهى بعد استعراض أهم التأثيرات السلبية للاستخدام المكثف لتعددية الشاشات، أن معظم الأولياء على دراية بهذه التأثيرات. بيد أنهم يفضلون التغافل عنها وتناسيها؛ فهي ملاذ لأبنائهم وأيضاً ملاذ لهم، بواسطتها سيحل السكون والصمت محل الضجيج، وأي ملاذ وصمت هذا؟؟؟

فتتحول الشاشات في هذا السياق إلى فضاء للمساومة يستحوذ عليه الأبناء، إذ يدركون بأنه يمكنهم الحصول على مرادهم (أي استخدام الشاشات المتاحة) مقابل قسط من الهدوء يحصل عليه الأولياء.

ومع الوقت، وبعدما كان يخصص وقت محدد للحصول على الشاشة المفضلة للطفل (عادة الهاتف النقال أو اللوح الإلكتروني)، سيتفاوض الطفل للحصول على فضاء أكبر من خلال تمديد فترات استخدامها والتي يمكن أن تتحول إلى ما لا نهاية!

فنحن اليوم أمام قوة انهيار لا تضاهيها أي قوة أخرى، في عوالم موازية للعالم الحقيقي!

خاتمة:

من خلال الاعتماد على مقارنة أنثروبولوجية تسلط الضوء على التغيرات النسقية المترتبة عن استخدام تعددية الشاشات تبين جلياً بأن التأثيرات والروابط بينها متداخلة ومتعددة ومتنوعة، وحتى إنه لا يمكن تعدادها.

فقد أسفرت عن ظاهرة تعددية الشاشات تغيرات عديدة أثرت في جميع الأنساق. وفي الواقع هذه التأثيرات المختلفة ليست منفصلة عن بعضها البعض، إذ تحدث هذه التغيرات بشكل مواز على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والنفسي والثقافي والصحي لتكون نسقا من العناصر المتداخلة التي لا استغناء عن أي عنصر منها، بحيث أي تغيير يؤدي لا محالة إلى تغييرات في مستويات أخرى.

وكل هذه التأثيرات إنما تمس الحياة اليومية بكل تجلياتها، كمجال مميز للأنثروبولوجيا التي تهتم بالتقنيات المستخدمة في الحياة اليومية. من هذا المنطلق، يتعين اليوم تسليط الضوء على الظواهر التي ما فتئت تظهر بين الحين والآخر، في عالم متغير بشكل مستمر، تغزو فيه الوسائط والتكنولوجيا الرقمية الحياة اليومية بكل مظهراتها.

فقد أدت الاختراعات المرتبطة بتعددية الشاشات إلى تغيير جذري للحياة اليومية بشكل مستمر في المجتمعات المختلفة وفي النسيج العلائقي للأفراد ببعضهم البعض، من تمثيلات للأفراد بالتقنية التي يكتشفونها ويرغبون في تطويرها لتتعدد وظائفها باستمرار، ومن ممارسات يومية في حياتهم الخاصة والمهنية، ومن فضاءات جديدة للمنافسة الاقتصادية والرهانات السياسية، وما صاحب ذلك من تغير جذري لأساليب التنشئة الاجتماعية ولشبكة العلاقات الاجتماعية، وغيرها من التغيرات المستمرة التي لا يمكن لأحد توقع مدى انتشارها بين الجماهير المتعددة.

وتعتبر الشاشات المتعددة ظاهرة سوسيو-ثقافية تعبر عن طبيعة تعددية استخداماتها وما ينجر عنها من ممارسات يومية جديدة، مع تأويل هذه الظواهر التي يقيمها الفاعلون الاجتماعيون وما ينجر عنها من تغيرات في ملامح الحياة اليومية، ووجود رهانات جديدة أعادت قبولية النسيج الاجتماعي برمته.

فالثقافات الحديثة هي في إعادة التشكل بشكل مستمر، في سياق جديد هو بدوره يعيد التشكل بشكل مستمر ومتسارع.

لذلك، يتعين على الباحث في حقل الأنثروبولوجيا إدراك المتغيرات المتعددة التي تنتج هذه الظواهر والتي غالبا ما تكون متداخلة... كما يقتضي الأمر البحث عن المعاني التي يولها الأفراد للاستخدامات المتعددة للتكنولوجيا الجديدة، وأيضا التقصي حول كيفية تغييرها علاقة الإنسان بالإنسان وبمحيطه، ما الذي يختفي وما الذي يظهر... في عالم معولم، لا مكان فيه للمحلي والخاص، لأنماط الوجود والعيش المحلية.

وقد لا يشاطرنى الجميع حين أذهب للقول بأن هذه الدراسة بعد سنوات قليلة ستبدو بدون أهمية أو ستتحول إلى دراسة تنتهي إلى زمن "غابر"، لا لسبب إلا لأن شاشات أخرى ستغزو الحياة اليومية لتحل محل الشاشات الراهنة، مما يستدعي التنبؤ بأن التغييرات التي ستسفر عنها ستكون نسقية.

قائمة المراجع والمصادر

- مرتاض-نفوسي، ل. (2020). إشكالية التنظير في العلوم الإنسانية. الأردن: دار المناهج.
- مرتاض-نفوسي، ل. (2022). تغير الأنساق والحياة اليومية بالجزائر مع أزمة فيروس كوفيد-19- رصد للتمثيلات والممارسات- قسنطينة: دار ألفا.كوم.
- Bertalanffy, L. (1969). General System Theory. New York: George Braziller.
- Boutefnouchet, M. (2012). Introduction à la Sociologie, Les Fondements. Alger: Office des Publications Universitaires.
- Dominique Château, J. M. (2016, December). Introduction: Screen, a Concept in Progress. Consulté le June 19, 2024, http://C:/Users/CATECH/Downloads/Introduction_Screen_a_Concept_in_Progress.pdf

Enríquez, M. R. (2016). Exposición a pantallas en la actualidad. Spain: Universidad de Sevilla.

Heredia, C. E. (2011). Antropología de los mundos virtuales. U. P. Salesiana, Éd. Ecuador.

Le Changement Systémique. (2016, July). Consulted le June 12, 2024, sur <https://www.aic-international.org/es/wp-content/uploads/sites/3/2016/07/cahier11fr.pdf>

L'enfant, l'adolescent, la famille et les écrans, Appel à une vigilance raisonnée sur les technologies numériques. (2024). Récupéré sur https://www.academie-sciences.fr/pdf/rapport/appel_090419.pdf

Les écrans, des bonbons pour notre esprit. (2024, May 21). Récupéré sur <https://www.3-6-9-12.org/wp-content/uploads/2018/02/Entretien-avec-Serge-Tisseron-EJE-journal.pdf>

L'Essentiel sur... les usages problématiques d'écrans. (2024). Récupéré sur <https://www.drogues.gouv.fr/lessentiel-sur-les-usages-problematiques-decrans>

Molina, J. L. (2010, January). Antropología y redes sociales. Consulted 2020, sur https://www.researchgate.net/publication/265592658_Antropologia_y_redes_sociales_Una_introduccion_a_Ucinet6-NetDraw_EgoNet_y_Analisis_comparado_con_SPSS

Morin, E. (1990). Introduction à la pensée complexe. Paris: ESF Editeur.

Morin, E. (1976). Pour une crisologie. Communication, n 25.

Proulx, S. (2022). Les formes d'appropriation d'une culture numérique comme enjeu d'une société du savoir. Récupéré sur http://www.ac-grenoble.fr/ien.bourgoinashnord/IMG/pdf_es_TUIC_Enjeux_et_modalites_de_mise_en_oeuvre.pdf

Selim, M. (2012). La production numérique du réel, perspectives anthropologiques. Variations (16), 106-113.

Voisin, M. (2016). L'enfant et les écrans: regard du pédiatre. Consulté le June 16, 2024, sur https://www.ac-sciences-lettres-montpellier.fr/academie_edition/fichiers_conf/VOISIN-2016.pdf

Wolton, D. (1997). *Penser la communication*. France: Flammarion.